أغاثا كريستي

عيّنة من الكتاب

(للتصفح والاطّلاع)

قضَايا بْوارو المُبَكّرة

بسم الله الرحمن الرحيم

أغاثا كريستي

قضَايا بْوارو المُبَكّرة

طُبعت للمرّة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٧٤

ترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسّون

صورة الغلاف مُستوحاة من قصة
«لغز حادثة الانتحار في بلدة ماركت بيسنغ»

الأجيال للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لمجموعة من قصص بوارو القصيرة
التي نُشرت في مجلات متنوعة بين عام ١٩٢٣ وعام ١٩٣٦

وقد نُشرت هذه المجموعة أول مرة عام ١٩٧٤ بعنوان

Poirot's Early Cases

Copyright © Agatha Christie Ltd 1974

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنَع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL *Publishers*
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الخامسة
٢٠٢٠

لغز اختفاء الطبّاخة

عندما كنت وصديقي هيركيول بوارو نشترك في مسكن واحد، كان من عادتي أن أقرأ له بصوت عالٍ عناوين صحف الصباح، ولا سيما صحيفة «ديلي بلير».

كانت «ديلي بلير» صحيفة تبالغ في استغلال أي فرصة لأغراض الإثارة، ولم تَنزوِ جرائمُ السرقة والقتل في موضع منعزل في صفحاتها الداخلية، بل كانت تبرز بخطوط عريضة على الصفحة الأولى.

قرأت: "موظف بنكٍ فارّ يختفي ومعه ما قيمته خمسون ألف جنيه من السندات المالية القابلة للتداول"، "فقدان فتاة طابعة: فتاة جميلة في الحادية والعشرين. أين اختفت إيدنا فيلد؟"، "زوج يضع رأسه في فرن الغاز: حياة منزلية تعِسة".

ثم قلت لبوارو: ها هي العناوين... كثير من القضايا التي يمكنك أن تختار منها. موظف بنك هارب ومختف، وانتحار غامض، وفتاة طابعة مفقودة... أيّ قضية ستختار؟

كان صديقي يتمتع بمزاج هادئ رائق، فاكتفى بهزّ رأسه بهدوء قائلاً: لم أنجذب لأيٍّ من هذه القضايا يا صديقي. إنني أشعر اليوم

بالميل نحو حياة الراحة، وينبغي على القضية التي ستدفعني إلى ترك مقعدي وملاحقتها أن تكون قضية مثيرة جداً. سأراك لاحقاً، فلديّ قضايا مهمة تخصني عليّ إنجازها.

- مثل ماذا؟

- ملابسي يا هيستنغز، فإنّ على بدلتي الرمادية الجديدة -إن لم أكن مخطئاً- بقعة من الشحم. إنها بقعة صغيرة، ولكنها تكفي لإزعاجي، ثم عليّ أن أخزن معطفي الشتوي بعد رشّه بالمسحوق الحافظ. وأعتقد، نعم... أعتقد أن الوقت قد حان لتعديل وتشذيب شاربي، وعليّ بعد ذلك أن أدهنه بالمرهم العطري.

قلت وأنا أتجه إلى النافذة: حسناً، أشكّ في إمكانية تنفيذك لهذا البرنامج المزدحم، فقد كان هذا صوت الجرس. ها قد جاءك زبون.

صرح بوارو بنبرة كرامة: ما لم تكن القضية ذات أهميةٍ وطنيةٍ فلن ألمسها.

بعد دقيقة اقتحمت علينا خلوتَنا سيدةٌ بدينة محمرّة الوجه كانت تلهث بصوت مسموع نتيجة صعودها السريع للدرج. سألت وهي تغرق في أحد الكراسي: أأنت السيد بوارو؟

- نعم يا سيدتي، أنا هيركيول بوارو.

- إنك لا تشبه في قليل أو كثير الصورة التي كوّنتُها عنك.

قالت ذلك وهي ترمقه ببعض الازدراء، ثم أضافت: هل تدفع مالاً مقابل ما يُكتب في الجريدة من مدح لك كرجل تحرٍّ حاذق أم

أنهم يكتبون ذلك من تلقاء أنفسهم؟

قال بوارو وهو يعتدل في جلسته: سيدتي!

- أنا آسفة، ولكنك تعرف طبيعة الصحف في هذه الأيام. ما تكاد تبدأ بقراءة مقالة لطيفة عن "ما قالته العروس لصديقتها العازبة" حتى تدرك أن الموضوع يتعلق بسلعة تافهة اشتريتَها من الصيدلي وغسلت بها شعرك... لا شيء غير الإعلانات الكاذبة الفارغة، ولكن أرجو أن لا تعتبر كلامي إساءة. حسناً، سأخبرك بما أريده منك: أريد أن تعثر على طباختي.

نظر بوارو إليها وقد خذله -لأول مرة- لسانه الذّرِبْ، واستدرت أنا جانباً لأخفي ابتسامتي الواسعة التي لم أتمكن من السيطرة عليها.

قالت السيدة: كل ذلك بسبب الإعانة السيئة التي تنشرها الحكومة للعاطلين عن العمل. فليوقفوا تلك الإعانة... هذا رأيي. بودي لو أعرف ما لدى خدمي أنا من أمور يشكون منها، فهم يأخذون إجازة نصف يومٍ وليلته في كل أسبوع، ويتناوبون أيام الأحد، والغسيل مستثنى من مهماتهم، ويتناولون نفس طعامنا، ولا يوجد في بيتنا نقطة من السمن الصناعي، فنحن لا نستعمل إلّا أفضل أنواع الزبدة.

توقفت قليلاً لحاجتها لالتقاط أنفاسها فاغتنم بوارو فرصته، وتكلم بأكثر أساليبه عجرفة ناهضاً ليقف على قدميه أثناء كلامه: أخشى أن تكوني مخطئة يا سيدة، فأنا لا أجري تحقيقات في ظروف خدم البيوت. إنني رجل تحرٍّ خاص.

قالت زائرتنا: أعرف ذلك. ألم أقل لك إنني أريدك أن تعثر لي

على طباختي؟ لقد خرجَتْ من البيت يوم الأربعاء، حتى دون أن تقول لي كلمة واحدة، ولم تعد بعدها.

- أنا آسف يا سيدتي، ولكني لا أدخل في هذا النوع الخاص من العمل. أتمنى لك صباحاً طيباً.

زمجرت زائرتنا بسخط قائلة: هكذا إذن يا صاحبي الرائع؟ أنت متكبر جداً، إيه؟ لا تتعامل إلّا مع أسرار الدولة وجواهر الكونتيسات؟ دعني أقل لك إن الخادمة هي في نفس أهمية إكليل جواهر بالنسبة لامرأة مثلي. لا يمكن أن نكون جميعاً نساء فاتنات يخرجن في سياراتهن مع جواهرهن ولآلئهن. الطباخة الجيدة طباخة جيدة، وعندما تفقدها فذلك يعني بالنسبة لك ما يعنيه اللؤلؤ لامرأة فاتنة.

بدا للحظات أن الأمر بالنسبة لبوارو يتأرجح بين قطبين متقاربين جداً هما كرامته وروح الدعابة لديه. وأخيراً ضحك وجلس ثانية قائلاً: سيدتي، أنت محقة وأنا المخطئ. إن ملاحظاتك صائبة وذكية. ستكون هذه القضية تغييراً بالنسبة لي، فأنا لم أصطد من قبلُ خادمة بيوت مفقودة... وها هي حقاً القضية ذات الأهمية الوطنية التي كنت أطلبها من القدَر قبل وصولك تماماً. لقد قلتِ إن هذه الطباخة الجوهرة خرجت يوم الأربعاء ولم تعد، أي أنها خرجت يوم أمس الأول.

- نعم، كان الأربعاء هو يوم عطلتها الأسبوعية.

- ولكن يُحتمَل أن تكون قد تعرضت لحادث يا سيدتي. هل سألت أي مستشفى؟

- هذا بالضبط ما اعتقدته أمس، ولكنها أرسلت هذا الصباح

طالبةً صندوق متاعها، ولم تكلف نفسها عناء الكتابة لي ولو سطراً! ولو أنني كنت في البيت لما سمحت للقضية أن تمر هكذا... تعاملني بهذا الشكل! ولكني كنت قد خرجت لتوي ذاهبة إلى الجزار!

- هل لك أن تصفيها لي؟

- إنها في أوسط العمر، ذات شعر أسود بدأ يتحول رمادياً... محترمة جداً. كانت قد أمضت عشر سنوات في مكان عملها السابق، واسمها إليزا دَنْ.

- وأنت، ألم تختلفي معها قبل يوم الأربعاء؟

- أبداً، وهذا ما يجعل الأمر بهذه الغرابة.

- كم عدد الخدم الذين يعملون لديك يا سيدتي؟

- اثنتان. الثانية هي خادمةُ ردهةِ الاستقبال، آني، وهي فتاة لطيفة جداً، تنسى بعض الأمور أحياناً وعقلها مسكون بالشبّان، ولكنها خادمة جيدة إن حملتَها دوماً على القيام بواجبها.

- وهل كانت علاقتها مع الطباخة على ما يرام؟

- إجمالاً: كانتا بأفضل حال.

- وهذه الفتاة، ألا تستطيع إلقاء أي ضوء على اللغز؟

- تقول إنها لا تستطيع، ولكنك تعرف طبيعة الخدم... إنهم يتضامنون جميعاً بعضهم مع بعض.

- حسناً، حسناً... ينبغي أن ننظر في هذا الأمر. قلتِ أين

تسكنين يا سيدتي؟

- في كلافام، ٨٨ شارع الأمير ألبرت.

- حسناً يا سيدتي، سأتمنى لك صباحاً سعيداً، وتستطيعين الاطمئنان إلى زيارتي لك في منزلك في وقت ما من هذا اليوم.

استأذنت السيدة تود للمغادرة، وهذا كان اسم صديقتنا الجديدة.

* * *

نظر إليّ بوارو بكآبةٍ بعض الشيء وقال: حسناً يا هيستنغز. إن في هذه القضية جِدّةً وتغييراً. «اختفاء طباخة كلافام»! لا ينبغي أبداً، أبداً، أن يسمع صديقُنا جاب بهذا الأمر!

ثم مضى بعد ذلك ليحمّي مكواته وأزال بحذر بقعة الشحم عن بدلته الرمادية بقطعة من الورق النشاف. أما شارباه فقد اضطر آسفاً لتأجيل معالجتهما حتى يوم آخر، ثم انطلقنا إلى كلافام.

وجدنا أن شارع الأمير ألبرت ذو بيوت أنيقة متشابهة تماماً، ذات ستائر مكشكشة جميلة تحجب نوافذَها وطارقات أبواب نحاسية ملمَّعة جيداً. قرعنا جرس المنزل رقم ٨٨، ففتحت البابَ خادمةٌ مرتبة ذات وجه جميل. ثم جاءت السيدة تود إلى الصالة لتحيتنا، وما لبثت أن صاحت: لا تذهبي يا آني، إن هذا السيد من رجال التحري، وهو يريد أن يسألك بعض الأسئلة.

عكس وجه آني صراعاً بين الذعر والإثارة الممتعة. وقال بوارو: شكراً يا سيدتي، إنني أود استجواب خادمتك الآن، وأحب أن أراها بمفردها إن كان ذلك ممكناً.

أخذتنا السيدة تود إلى غرفة جلوس صغيرة، وعندما غادرت -بعد تردد واضح- بدأ بوارو استجوابه: حسناً يا آنسة آني، إن كل ما تخبريننا به سيكون ذا أهمية قصوى، فأنت وحدك التي يمكن أن تلقي أي ضوء على القضية، وبلا عون منك لا أستطيع أن أفعل شيئاً.

اختفى الذعر من وجه الفتاة، وأصبحت الإثارة الممتعة أكثر بروزاً. قالت: أنا واثقة يا سيدي بأنني سأخبرك بكل ما أستطيعه.

انفرجت أسارير بوارو لها بحسن القبول وقال: هذا جيد. والآن وقبل أي شيء: ما هو رأيك الخاص؟ أنتن فتاة على جانب كبير من الذكاء... يمكن تمييز ذلك على الفور! ما هو تفسيرك الخاص لاختفاء إليزا؟

انطلقت آني -وقد جرى تشجيعها على هذا النحو- في حديث منفعل: إنهم تجار الرقيق الأبيض يا سيدي، لطالما قلت ذلك! كانت الطباخة تحذرني منهم دائماً: "لا تستنشقي أي رائحة أو مادة ولا تأكلي أية حلويات مهما يكن صاحبها مهذباً"! تلك كانت كلماتها لي. وها هم اليوم قد اصطادوها! إنني واثقة من ذلك، ويُحتمَل أنها قد نُقلت على ظهر سفينة إلى بعض تلك الأماكن البعيدة حيث يفضّلون النساء السمينات!

حافظ بوارو على رزانة تستحق الإعجاب وقال: ولكن في هذه الحالة (وهي بالفعل فكرة رائعة!) هل كانت سترسل في طلب صندوق ثيابها؟

- حسناً، لا أدري يا سيدي. ولكنها ستحتاج متاعها حتى في تلك الأماكن الأجنبية.

- من الذي أتى لأخذ الثياب... رجل؟

- نعم، أخذها كارتر باترسن يا سيدي.

- وهل رزمتِها أنت؟

- لا يا سيدي، كانت مرزومة ومشدودة بالحبال سلفاً.

- آه، هذا مثير! إنه يُظهر أنها قررت سلَفاً عدم العودة عندما غادرت البيت يوم الأربعاء. إنك تدركين هذا، أليس كذلك؟

بدت آني وكأنها قد فوجئت قليلاً بالفكرة، قالت: لم أفكر في هذا الاحتمال. ولكني -رغم ذلك- ما زلت أحسب أن تجار الرقيق الأبيض ربما كانوا هم الذين أخذوها، أليس هذا ممكناً يا سيدي؟

طرحت سؤالها الأخير بلهفة كئيبة، فأجابها بجِدّ: بلا شك! هل كنتما أنتما الاثنتين تَشغلان الغرفة ذاتها؟

- لا يا سيدي، فلدينا غرف منفصلة.

- وهل عبّرت إليزا عن أي استياء أمامك في أي وقت؟

- إنها لم تذكر أبداً مغادرة البيت، فالمكان هنا على ما يرام...

ترددت، فقال بوارو بلطف: تكلمي بحرية فلن أخبر سيدتك.

- حسناً يا سيدي. إن سيدتي تثير الاستغراب. نعم، ولكن الطعام جيد، يوجد منه الكثير بلا أي تقتير، وعلى العشاء وجبة حارة، وتستطيع أن تستعمل من دُهن القلي بقدر ما يروق لك، والإجازات جيدة. وفي كل الأحوال إن كانت إليزا قد أرادت التغيير

فما كانت لتذهب بهذه الطريقة، أنا واثقة من ذلك. كانت ستكمل شهرها. يمكن لسيدتي أن تقتطع منها أجر شهر لقاء تصرفها هذا!

سأل بوارو: والعمل، هل هو شاقٌّ جداً؟

- حسناً، إن سيدتي تدقق كثيراً، تدور دوماً بين الزوايا بحثاً عن غبار أهملت مسحه. ولدينا النزيل، أو الضيف بالأجرة كما يُسمى دائماً. ولكن هذا لا يكلفنا إلّا الإفطار والعشاء، مثل سيدي، فهما خارجان طوال النهار في المدينة.

- هل تحبين سيدك؟

- لا بأس به، إنه هادئ جداً ويميل قليلاً إلى الخجل.

- أحسبك لا تذكرين آخر شيء قالته إليزا قبل خروجها؟

- بل أتذكر. قالت: "إن بقي شيء من الخوخ المغلي في غرفة الطعام فسنأخذه لعشائنا مع قليل من اللحم والبطاطا المقلية". كانت مهووسة بالخوخ المغلي، ولن أُدهَش لو علمتُ أنهم اصطادوها بهذه الطريقة!

- هل كان يوم الأربعاء هو يوم إجازتها الاعتيادية؟

- نعم، هي لها الأربعاء وأنا الخميس.

طرح بوارو بضعة أسئلة أخرى ثم أعلن اكتفاءه، فخرجت آني وسارعت السيدة تود بالدخول وقد غطى الفضول وجهها. وشعرتُ يقيناً أنها غضبت بمرارة بسبب إقصائها عن الغرفة خلال حديثنا مع آني. ولكن بوارو كان حريصاً على تهدئة مشاعرها بحذق ومهارة.

قال: إنه لمن الصعب على امرأة ذات ذكاء استثنائي مثلك يا سيدتي أن تتحمل الطرُق الملتوية التي نضطر -نحن رجال التحري المساكين- إلى استخدامها. إن الصبر على الغباء صعب بالنسبة لأصحاب الذكاء اللماح!

وبعد أن طرد بسحره أي سخط بسيط قد تحسه السيدة تود أدار بوارو الحديث إلى موضوع زوجها، واستخرج منها معلومة مفادها أن زوجها يعمل في شركة في المدينة وأنه لن يعود إلى البيت إلّا بعد الساعة السادسة.

قال بوارو: لا شك أنه منزعج جداً وقلق حول هذا الأمر الذي لم يكن بالحسبان، أليس كذلك؟

- إنه لم يقلق أبداً، وكل ما قاله هو: "حسناً، أحضري واحدة غيرها يا عزيزتي"، وهو هادئ إلى الحد الذي يدفعني للجنون أحياناً. قال: "إنها امرأة ناكرة للجميل وخيرٌ لنا أننا تخلصنا منها".

- وماذا عن ساكني البيت الآخرين يا سيدتي؟

- تعني السيد سيمبسن، ضيفنا بالأجرة؟ حسناً، ما دام يحصل على إفطاره وعشائه بانتظام فإنه لا يهتم.

- ما هي مهنته يا سيدتي؟

- إنه يعمل في مصرف.

ذكرت اسم المصرف، وذُهِلتُ أنا قليلاً وأنا أتذكّر ما قرأته في صحيفة «ديلي بلير».

قال بوارو: أهو شاب؟

- في نحو الثامنة والعشرين كما أعتقد، وهو شاب لطيف هادئ.

- أود أن أتكلم معه قليلاً، وكذلك مع زوجك إن أمكن. سوف أعود لهذا الغرض مساء اليوم. وسأتجرأ وأقترح عليك أن تريحي نفسك قليلاً، فأنت تبدين مرهقة.

- أعتقد أنني فعلاً كذلك! أولاً بسبب قلقي بشأن إليزا، وثانياً لأنني كنت في السوق طوال يوم أمس عملياً، وأنت تعرف ماذا يعني ذلك يا سيد بوارو، ثم بسبب هذا الأمر أو ذاك، وعمل كثير في البيت، لأن آني لا تستطيع طبعاً القيام بكل شيء، والتفكير في أنها ستقدم استقالتها على الأغلب، فهي غير مستقرة بعد... حسناً بسبب ذلك كله أصابني الإنهاك!

تمتم بوارو بكلمات متعاطفة ثم استأذنّا بالانصراف.

* * *

قلت له: إنها لمصادفة غريبة، ولكن ذلك الموظف المختفي... ديفيس... كان من نفس البنك الذي يعمل فيه سيمبسن! هل يحتمل أن تكون بينهما أية علاقة برأيك؟

ابتسم بوارو وقال: لدينا في الجانب الأول موظف مختلس، وفي الجانب الآخر طباخة مختفية. من الصعب رؤية أي علاقة بين الأمرين، ما لم يكن ديفيس قد زار سيمبسن ووقع في غرام الطباخة وأقنعها بمرافقته في رحلته!

ضحكتُ، ولكن بوارو بقي جاداً وقال مؤنباً: "ربما فعل أسوأ من ذلك. تذكر يا هيستنغز أنك إن كنت ذاهباً إلى المنفى فإن طباخة ماهرة قد تريحك أكثر مما يريحك وجه جميل". ثم صمت لحظة ومضى قائلاً: إنها قضية غريبة، مليئة بالسمات المتناقضة. لقد أثارت اهتمامي... نعم، لقد أثارت اهتمامي بشكل خاص.

* * *

عدنا في ذلك المساء إلى المنزل ٨٨ في شارع الأمير ألبرت، وقابلنا كلا الرجلين: السيد تود وسيمبسن. كان الأول رجلاً كئيب المزاج، ذا فكين طويلين مستدقيّن مما يعطي وجهه شكلاً أجوف، وكان في نحو الأربعين من عمره. قال بشكل مبهم: آه! نعم، نعم، إليزا، نعم، طباخة ماهرة كما أعتقد. وهي اقتصادية أيضاً، إنني أهتم كثيراً بالاقتصاد.

سأله بوارو: أتستطيع تخمين أي سبب لمغادرتها بهذا الشكل؟

- آه، حسناً... إنهم الخدم كما تعلم. إن زوجتي تقلق كثيراً؛ لقد استهلكها القلق الدائم، والمشكلة كلها بسيطة في الواقع. إنني أقول لها: "أحضري غيرها يا عزيزتي، أحضري غيرها". لن يتطلب الأمر أكثر من ذلك، فليس من الخير البكاء على الحليب المسفوح.

لم يكن السيد سيمبسن بأقل من زميله في عدم فائدته. كان شاباً هادئاً غير واضح ويضع نظارة على عينيه. قال: لا بد أنني رأيتها كما أعتقد. امرأة كهلة، أليس كذلك؟ بالطبع، إن المرأة التي أراها دائماً هي الأخرى، آني. إنها فتاة لطيفة، خدومة جداً.

سأله بوارو إن كانت علاقات الاثنتين جيدة، فأجاب السيد سيمبسن بأنه لا يستطيع الجزم وأنه يظن أنهما كانتا كذلك.

وبينما نحن نغادر المنزل (وكانت مغادرتنا قد تأخرت بسبب تكرارٍ مندفع صاخب من السيدة تود لكل ما قالته لنا صباحاً، ولكن بتفصيل أكبر) قال بوارو: حسناً، لم نحصل على ما يثير الاهتمام هناك يا صديقي.

سألت بوارو: هل خاب أملك؟ أكنت تتوقع سماع شيءٍ ما؟

هز بوارو رأسه بالنفي وقال: كان ثمة احتمال بالطبع، ولكنني كنت أشك فيه كثيراً.

* * *

كان التطور اللاحق رسالة تسلمها بوارو صباح اليوم التالي. قرأها واحمر وجهه سخطاً، ثم سلمها لي. كان ملخصها كالتالي: تأسف السيدة تود لأنها تريد وقف الاستفادة من خدمات السيد بوارو، فبعد التداول مع زوجها رأت أنّ من الحماقة استدعاء رجل تحرٍّ لأجل قضية لا تتعلق إلّا بمسألة خدم. وقد أرفقت السيدة تود بالرسالة جنيهاً مقابل أجور الاستشارة.

صاح بوارو بغضب: ها! ويظنون أن بوسعهم أن يتخلصوا من هيركيول بوارو بهذه السهولة؟! لقد وافقت من قبيل المعروف... بل المعروف الكبير... على التحقيق في قضيتهم التافهة الصغيرة، ثم يطردونني هكذا! إنها بصمات السيد تود هنا بلا شك. ولكنني أقول: «لا»، بل إنها ستة وثلاثون «لا»! سأصرف جنيهاتي الخاصة، ستاً

وثلاثين مئةً إن تطلب الأمر، ولكنني سأصل إلى حقيقة هذه المسألة!

قلت: نعم، ولكن كيف؟

هدأ بوارو قليلاً وقال: أولاً سنعلن في الصحف. دعني أفكر قليلاً... نعم، إعلان من هذا القبيل: "إن شاءت إليزا دَنْ أن تتصل بهذا العنوان فإنها ستسمع أخباراً لمصلحتها". انشر هذا الإعلان في كل الصحف التي تخطر ببالك يا هيستنغز، وبعد ذلك سأقوم ببعض التحريات. اذهب... اذهب، ينبغي أن ننجز كل شيء بأسرع ما يمكن!

* * *

لم أره ثانية حتى المساء، حين تعطف وأخبرني بما كان يفعله. قال: لقد قمتُ بتحرياتٍ في الشركة التي يعمل فيها السيد تود. إنه لم يكن غائباً يوم الأربعاء، وهو ذو شخصية مقبولة وذو سمعة جيدة، أكثر مما يستحق. أما سيمبسن فقد كان مريضاً يوم الثلاثاء ولم يذهب إلى البنك، ولكنه كان هناك يوم الأربعاء. كان ذا صداقة معتدلة مع ديفيس، ولا يوجد شيء خارج عن المألوف. لم أجد أي شيء مفيد. حسناً، يجب أن نعتمد على الإعلان.

ظهر الإعلان في وقته في كل الصحف اليومية الرئيسية، وكان يُفترَض -حسب أوامر بوارو- أن يستمر ظهوره يومياً لمدة أسبوع. كانت لهفتُه تجاه قضية غير مثيرة عن اختفاء خادمةٍ مسألةً غريبة، ولكنني أدركت أنه يعتبرها قضية شرف... أن يثابر حتى ينجح أخيراً. في أثناء هذا الوقت أتته عدة قضايا مثيرة جداً ولكنه ردها كلها. كان يسرع في كل صباح إلى رسائله الواردة يدقق فيها بجد، ثم يلقيها جانباً وهو يتنهد.

ولكننا كوفئنا أخيراً على صبرنا، ففي يوم الأربعاء الذي أعقب زيارة السيدة تود أخبرتنا صاحبة المبنى أن امرأة اسمها إليزا دَنْ قد جاءت لرؤيتنا. صاح بوارو: أخيراً! دعيها تصعد، فوراً... على الفور.

أسرعتْ صاحبة المبنى بالخروج بعد هذا الإلحاح، وعادت بعد لحظات لتدخل الآنسة دَنْ.

كانت طريدتنا تشبه كثيراً الأوصاف التي أعطيت عنها: طويلة وبدينة ومحترمة بدرجة كبيرة. قالت: لقد جئت استجابة للإعلان، ظننت أنه لا بد من وجود خطأ ما، إذ لعلكم لم تعلموا أنني حصلت فعلاً على مستحقاتي.

كان بوارو يدرسها بإمعان. سحب كرسياً إلى الأمام بطريقة مسرحية ثم قال: حقيقة الأمر هي أن سيدتك، السيدة تود، كانت قلقة كثيراً عليك، وقد خشيَتْ أن تكوني قد تعرضت لحادث ما.

بدت إليزا مدهوشة تماماً وقالت: ألم تستلم رسالتي إذن؟

- لم تستلم أي كلمة من أي نوع.

توقف قليلاً ثم قال بأسلوب مقنع: أعيدي عليّ القصة بكاملها، هل هذا ممكن؟

لم تكن إليزا دَنْ بحاجة إلى تشجيع. اندفعت فوراً في رواية مطولة: كنت عائدة إلى البيت مساء يوم الأربعاء، وكنت قد أوشكت على الوصول إليه عندما استوقفني رجل. كان رجلاً طويلاً ذا لحية وقبعة كبيرة. قال لي: "أنت الآنسة إليزا دَنْ؟". قلت: "نعم"، فقال: "لقد كنت أسأل عنك في عنوانك رقم ٨٨، وقد قالوا إنني يمكن

أن أصادفك آتية هنا. يا آنسة دَنْ، لقد جئت من أستراليا خصيصاً للعثور عليك. هل تعرفين اسم جدتك لأمك؟" فقلت له: "إنها جين إيموت"، فقال: "بالضبط، والآن يا آنسة دَنْ، بالرغم من أنك ربما لم تسمعي من قبل أبداً بما سأقوله لك، إلّا أن جدتك كانت لها صديقة عظيمة اسمها إليزا ليتش. وهذه الصديقة ذهبت إلى أستراليا حيث تزوجت أحد المستوطنين الأثرياء جداً، وقد مات طفلاها في صغرهما فورثت كل ثروة زوجها وممتلكاته، ثم ماتت هي نفسها منذ بضعة أشهر، وبناء على وصيتها فإنك سترثين بيتاً في هذا البلد، ومبلغاً محترماً من المال".

ومضت الآنسة دَنْ قائلة: كان يمكن وقتها أن يُغمى علي من الذهول. شعرت للحظات بالريبة، ولا بد أنه لاحظ ذلك، لأنه ابتسم وقال: "لك الحق تماماً أن تكوني حذرة يا آنسة دَنْ. ها هي أوراقي الرسمية". وسلمني رسالة من مكتب محاماة في ملبورن اسمه مكتب هيرست وكروتشيت وبطاقة شخصية، وكان هو السيد كروتشيت. ثم قال: "يوجد شَرطان، فقد كانت عميلتنا غريبة الأطوار بعض الشيء. فالميراث مشروط باستلامك لملكية البيت (وهو في كامبرلاند) قبل الساعة الثانية عشرة من ظهر الغد. أما الشرط الثاني فلا أهمية له، فهو مجرد تعهد بأنك لا تعملين في خدمة البيوت". وقد تملكني الحرج فقلت: "آه يا سيد كروتشيت، إنني طباخة. ألم يخبروك بذلك في البيت؟" فقال: "آه، يا عزيزتي المسكينة، لم يخطر ببالي مثل هذا الأمر. ظننت أنك ربما كنت شريكة أو مالكة للمنزل. هذا أمر مؤسف تماماً... مؤسف جداً حقاً".

سألته بلهفة: "وهل سأخسر كل المال؟". ففكّرَ للحظاتٍ ثم

قال أخيراً: "توجد دائماً طرق للتحايل على القانون يا آنسة دَنْ، ونحن -المحامين- نعرف ذلك. المخرج لك في هذا الأمر أن تكوني قد تركت عملك ظهر هذا اليوم". قلت له: "ولكنْ ماذا عن شهري الذي لم أكمله؟". قال مبتسماً: "يا عزيزتي الآنسة دَنْ... يمكنك أن تتركي أي ربّ عمل في أي وقت لو ضحّيتِ بأجر شهر. إن سيدتك ستتفهم الوضع بالنظر إلى الظروف، فالصعوبة تكمن في الوقت! يتحتم عليك أن تستقلي قطار الحادية عشرة وخمس دقائق من محطة كينغز كروس إلى الشمال. أستطيع أن أقرضك عشرة جنيهات لدفع الأجور، ويمكنك أن تكتبي ملاحظة في المحطة إلى سيدتك وسآخذها لها بنفسي وأشرح لها كل الظروف".

وافقتُ على ذلك طبعاً، وبعد ساعة كنت في القطار، وقد انشغل ذهني فلم أعد أعرف هل أقف على رجليّ أم على رأسي. والحقيقة أنه لدى وصولي إلى كارليسل كنت أميل قليلاً إلى الاعتقاد بأن الأمر كله كان واحدة من عمليات الاحتيال التي تعتمد على الثقة الساذجة بالمحتالين، مما نقرأ عنه أحياناً. ولكنني ذهبت إلى العنوان الذي أعطاه لي، وكان فعلاً مكتب محاماة، وكان كل شيء على ما يرام. بيت صغير جميل بأجرٍ سنوي يبلغ ثلاثمئة جنيه. كان هؤلاء المحامون لا يعرفون إلّا القليل، إذ كانوا قد تلقوا رسالة من رجل في لندن يطلب منهم فيها أن يسلموني البيت ومئة وخمسين جنيهاً مقابل الأشهر الستة الأولى. وقد أرسل لي السيد كروتشيت متاعي، ولكن لم تكن مرفقة معه أية رسالة أو كلمة من سيدتي. وافترضتُ أنها غاضبة وأنها حسدتني على نصيبي من الحظ. وقد احتفظَتْ بصندوقي أيضاً وأرسلتْ ملابسي بلفافات من الورق، ولكن يحق لها طبعاً إن لم

تكن استلمت رسالتي، فقد ترى في ذلك بعض الصفاقة من جانبي.

أصغى بوارو بانتباه إلى هذا التاريخ الطويل. واخذ الآن يهزّ رأسه بالموافقة كمن اقتنع تماماً بما سمع، ثم قال: شكراً يا آنستي. لقد حدث فعلاً -كما قلتِ- خطأ صغير. اسمحي لي أن أعوضك عما لاقيتِه من عناء.

وسلمها ظرفاً وقال: هل ستعودين فوراً إلى كلامبرلاند؟ كلمة صغيرة فقط أضعها في أذنك: "لا تنسي كيف تطبخين". من المفيد للمرء أن يكون لديه ما يعود له في حال حدوث خطأ لا تحمد عقباه.

عندما غادرت زائرتنا تمتم بوارو: يا لها من ساذجة! ولكن ربما لا تكون أكثر سذاجة من غالبية أبناء طبقتها.

ثم ظهرت على وجهه سِماتُ الجِدّ وقال: هيا يا هيستنغز، لا وقت لدينا لنضيعه. اطلب سيارة أجرة بينما أكتبُ ملاحظة للمفتش جاب.

كان بوارو ينتظر أسفل الدرج عندما عدت بسيارة الأجرة. سألته بلهفة: أين نحن ذاهبان؟

- أولاً لنرسلْ هذه الملاحظة مع رسول أمين.

وقد صنعنا ذلك، ولدى عودته إلى سيارة الأجرة أعطى بوارو العنوان للسائق: "٨٨ شارع الأمير ألبرت، كلافام".

قلت: إذن فنحن ذاهبان إلى هناك؟

- نعم، مع أنني أخشى -بصراحة- أن نكون قد تأخرنا كثيراً،

وأن يكون «عصفورنا» قد طار يا هيستنغز.

- من هو عصفورنا؟

ابتسم بوارو وقال: السيد سيمبسن الغامض!

- ماذا؟

- آه، هيا الآن يا هيستنغز، لا تقل لي إن الأمور لم تَتّضِح كلها أمامك الآن!

- لقد تم استبعاد الطباخة عن الطريق، إنني أدرك ذلك. ولكن لماذا؟ لماذا يرغب سيمبسن بإبعادها عن البيت؟ أتُراها تعرف شيئاً عنه؟

- لا تعرف شيئاً أبداً.

- لماذا إذن؟

- لأنه يريد شيئاً تمتلكه هي.

- أهو المال؟ التركة الأسترالية؟

- لا يا صديقي... بل شيء مختلف تماماً.

توقف قليلاً ثم قال بجِدّ كامل: صندوق قصديري قديم...

رمقته بطرف عيني. بدا قوله غريباً إلى الحد الذي شككت معه بأنه يريد خداعي ومشاكستي، ولكنه كان جاداً ورزيناً تماماً. صحت به: من المؤكد أنه يستطيع شراء صندوق إن كان بحاجة لصندوق.

- ولكنه لا يريد صندوقاً جديداً. لقد أراد صندوقاً ذا أصالة

وتاريخ، صندوقاً يلقى احتراماً أكيداً.

صحت به: اسمع يا بوارو... هذا يصعب هضمه؛ أنت تخادعني.

نظر بوارو إليّ وقال: أنت تفتقر إلى عقل وخيال السيد سيمبسن يا هيستنغز. اسمعني: في مساء يوم الأربعاء أبعد سيمبسن الطباخة بالخديعة. إن بطاقةً وورقةَ ملاحظاتٍ مطبوعةً مسائلُ يسهل الحصول عليها، وهو مستعد لدفع مئة وخمسين جنيهاً وإيجار بيت لمدة سنة ليضمن نجاح خطته. إن الآنسة دَنْ لم تتعرف إليه بسبب اللحية والقبعة ولكنةِ المستعمرات البسيطة مما خدعها تماماً. وهنا نصل إلى نهاية يوم الأربعاء، باستثناء الحقيقة الصغيرة التافهة، وهي أن سيمبسن قد ابتلع ما قيمته خمسون ألف جنيه من السندات القابلة للصرف.

قلت: سيمبسن...؟ ولكنه كان ديفيس!

قال بوارو: لو سمحت لي فقط أن أكمل حديثي يا هيستنغز! لقد عرف سيمبسن أن السرقة ستُكشف بعد ظهر يوم الثلاثاء، فلم يذهب إلى البنك ذلك اليوم، ولكنه جلس منتظراً خروج ديفيس إلى الغداء. وربما اعترف بالسرقة أمام ديفيس وأخبره أنه سيعيد إليه السندات. على كل حال فقد نجح في استدراج ديفيس ليأتي معه إلى كلافام. كان ذلك يوم عطلة الخادمة، والسيدة تود كانت في السوق، وهكذا فلم يكن في البيت أحد. وعندما تُكتشف السرقة ويُفقد أثر ديفيس ستكون دلالات ذلك طاغية بأن ديفيس هو اللص، وسيكون السيد سيمبسن آمناً تماماً، ويستطيع العودة إلى عمله في اليوم التالي بنفس براءة الموظف النزيه الذي اعتقدوه فيه!

قلت: وديفيس؟

قام بوارو بإشارة معبرة، وهزّ رأسه ببطء وحيرة ثم قال: إنها تبدو جريمة ارتكبت بأعصاب باردة إلى الحد الذي يصعب فيه تصديقها. ومع ذلك، فما هو التفسير الآخر الذي يمكن أن يرد هنا يا صديقي؟ إن إحدى الصعوبات التي تواجه القاتل هي التخلص من الجثة. وقد خطط سيمبسن لذلك مسبقاً. لقد لفتت انتباهي فوراً حقيقة أنه بالرغم من أن إليزا دَنْ كانت -كما هو واضح- تريد العودة في تلك الليلة عندما خرجت (بدليل ملاحظتها بخصوص الخوخ المغلي) فإن صندوقها كان مرزوماً جاهزاً عندما أتوا لأخذه وتسليمه. لقد كان سيمبسن هو الذي أرسل ملاحظة إلى كارتر باترسن ليأتي يوم الجمعة، وقد كان سيمبسن هو الذي ربط الصندوق بالحبال بعد ظهر يوم الثلاثاء. ما الشكوك التي يمكن أن تثور؟ خادمة تُرسل في طلب صندوقها، وتوضَع على الصندوق علامة وعنوان ويرسل، ربما إلى محطة قطارات قريبة من لندن، وبعد ظهر يوم السبت يطالب سيمبسن -متنكراً كأسترالي- بالصندوق، حيث يضع عليه عنواناً جديداً ويعيد إرساله إلى مكان آخر، على أن «يُترك حتى تتم المطالبة به». وعندما تثور شكوك السلطات -لأسباب ما- وتفتحه فإن كل ما يمكن استنباطه سيكون أنّ رجلاً من المستعمرات أرسله من إحدى المحطات المركزية قرب لندن. لن يوجد ما يربط بين تلك القضية وبين ٨٨ شارع الأمير ألبرت. آه! هذا ما حدث.

* * *

كانت تكهنات بوارو صحيحة. إذ كان سيمبسن قد غادر قبل أيام. ولكن لم يقدَّر له أن يفلت من عواقب جريمته، فبمساعدة اللاسلكي عُثر عليه على متن طائرة خطوط أولمبيا المتجهة إلى أمريكا.

في غضون ذلك جذب صندوقٌ من القصدير موجَّه إلى السيد هنري وينترغرين انتباهَ موظفي السكك الحديدية في غلاسكو، ففتحوه ليجدوا فيه جثة المسكين ديفيس.

أما ورقة الجنيه التي أرسلتها السيدة تود لبوارو فإنها لم تُصرف أبداً. وبدلاً من ذلك قام بوارو بتأطيرها وتعليقها على جدار غرفة جلوسنا قائلاً: إنها بالنسبة لي تذكرة صغيرة يا هيستنغز، كيلا أزدري الضئيل التافه المسكين. خادمة تختفي من جهة وجريمة قتل بأعصاب باردة من جهة أخرى... إنها -بالنسبة لي- واحدة من أكثر قضاياي إثارة!

* * *

عشّ الزنابير

خرج جون هاريسن من المنزل، ووقف على المصطبة الأمامية بعض الوقت ينظر إلى الحديقة أمامه. كان رجلاً ضخماً ذا وجه نحيل شديد الشحوب. كانت سيماه عادة تميل إلى الجهامة، ولكن عندما ترق القسمات المتغضنة -كما هو الآن- فتصبح ابتسامة، يصبح فيه شيءٌ ما شديد الجاذبية.

لقد أحب جون هاريسن حديقته، ولم يسبق لها أن بدت أفضل مما تبدو عليه هذا المساء الصيفي من شهر آب، باعثةً على الاسترخاء. لم تزل الورود المعترشة جميلة، والبازلاء الحلوة تملأ الجو بعبقها.

صوت صرير مألوف تماماً جعل هاريسن يدير رأسه بحدة. مَن هو القادم من بوابة الحديقة؟ وبعد دقيقة علا وجهه تعبير الدهشة التامة، لأن هيئة الرجل المهندم القادم عبر ممر الحديقة كانت آخر ما يتوقع رؤيته في هذا المكان من العالم.

صرخ هاريسن: هذا والله عجيب، السيد بوارو!

وكان حقاً هيركيول بوارو الشهير الذي طبقت شهرته الآفاق.

- نعم. لقد قلت لي يوماً: "إن وجدت نفسك يوماً في هذا الجزء من العالم فتعال لزيارتي"، وقد أخذتُك بجريرة كلمتك وجئت.

أجاب هاريسن بحماسة: وأنا ممتن لك. اجلس واشرب شيئاً.

وأشار إلى طاولة على الشرفة، فقال بوارو وهو يغرق في كرسي شبكي القاعدة: "أشكرك. لا أظن أن لديك عصير فواكه محلّى؟ نعم، لا أظن ذلك. قليل من ماء الصودا إذن، لا مشروبات كحولية". ثم أضاف بصوت حساس معبر بينما كان هاريسن يضع له كأس الصودا بجانبه: خسارة.. شاربان متهدلان! والسبب هو هذا الحر.

سأله هاريسن وهو يجلس على كرسي آخر: وما الذي جاء بك إلى هذه البقعة الهادئة؟ المتعة؟

- لا يا صديقي، بل العمل.

- العمل؟! في هذا المكان النائي؟

هزّ بوارو رأسه بالإيجاب وهو متجهم الوجه ثم قال: نعم يا صديقي، فليست كل الجرائم ترتكب بين الحشود الغفيرة كما تعلم.

ضحك هاريسن وقال: أظنها كانت ملاحظة بلهاء من طرفي. ولكن ما هي الجريمة المحددة التي تحقق فيها هنا، أم أن هذا أمر لا ينبغي لي أن أسأل عنه؟

- تستطيع أن تسأل، والحقيقة أنني أفضّل أن تسأل.

نظر إليه هاريسن بفضول، فقد أحس بأنّ في أسلوب صديقه وطريقة كلامه شيئاً غير عادي. بعدها تقدم بحديثه على نحو متردد

بعض الشيء، قال: هل قلت إنك تحقق بجريمة؟ جريمة حقيقية؟

- من أكثر ما يمكن لجريمة أن تكون حقيقية.

- ماذا تعني...؟

- جريمة قتل.

نطق بوارو هاتين الكلمتين بجدية بالغة جعلت هاريسن تأخذه المفاجأة. كان بوارو يحدق إليه مباشرة، وأيضاً كان في نظرته شيء غير عادي تماماً بحيث لم يعد هاريسن يعرف كيف يستمر في الحديث. ولكنه قال أخيراً: ولكنني لم أسمع بأي جريمة قتل.

- نعم، فأنت لم تكن لتسمع بها.

- ومَن القتيل؟

- حتى الآن، لا أحد.

- ماذا؟!

- لذلك قلتُ إنك لم تكن لتسمع بها. إنني أحقق في جريمة لم تُرتكَب بعد.

- اسمعني يا بوارو، هذا هراء.

- أبداً. إن كان بوسع المرء أن يحقق في جريمة قبل حدوثها، فإن هذا أفضل بكثير -بالتأكيد- من التحقيق بعد الجريمة. بل يمكن للمرء حتى أن يمنعها.

نظر هاريسن إليه ثم قال: أنت لست جاداً يا سيد بوارو.

- بلى، أنا جاد.

- أتعتقد حقاً بأن جريمة قتل ستُرتكب؟ آه، هذا سخيف!

أنهى بوارو الجزء الأول من جملته دون أن يلقي بالاً لتعجب صاحبه: ما لم نستطع أن نمنعها. نعم يا صديقي، هذا ما أعنيه.

- نمنعها؟

- نعم قلت: نمنعها نحن، فسأحتاج إلى تعاونك.

- ألهذا أتيت إلى هنا؟

مرة أخرى نظر بوارو إليه، ومرة أخرى جعله ذلك الشيء غير المحدد في نظرة بوارو يضطرب ويقلق.

- جئتُ إلى هنا يا سيد هاريسن لأنني... حسناً، لأنني أحبك.

ثم أضاف بصوت مختلف كلياً: إنني أرى يا سيد هاريسن بأن لديك هناك عش زنابير. عليك أن تدمره.

تغيير الموضوع المفاجئ جعل هاريسن يقطب جبينه بطريقة تبدو فيها الحيرة. ثم تبع بعينيه نظرة بوارو وقال بصوت مذعور: أنا في الحقيقة سأدمره... أو بالأحرى سيدمره الشاب لانغتن. هل تتذكر كلود لانغتن؟ كان حاضراً في نفس دعوة العشاء تلك التي قابلتك فيها. إنه قادم هنا هذه الليلة ليدمر هذا العش، وهو يبدو شغوفاً بهذا الأمر إلى حد ما.

- آه، وكيف سيدمره؟

- سيحقنه بالنفط، إلا أنه سيُحضر إبرته الحاقنة، فحجمها

أكبر من حجم إبرتي.

- ألا توجد طريقة أخرى؟ باستخدام سيانيد البوتاسيوم؟

بدا وكأن هاريسن قد فوجئ قليلاً، وقال: بلى، ولكنها مادة خطيرة، ومن المجازفة الاحتفاظ بها في البيت.

هزّ بوارو رأسه موافقاً ببطء وقال: "نعم، إنه سم قاتل". تريث قليلاً وردد مرة أخرى بصوت وَقور: سم قاتل.

علق هاريسن ضاحكاً: إنه مفيد إن كنت تريد «تصريف» حماتك، إيه؟

ولكن بوارو ظل جاداً، وقال: وهل أنت واثق يا سيد هاريسن بأن ما سيستخدمه السيد لانغتن في تدمير عش الزنابير هو النفط؟

- واثق تماماً، لماذا؟

- إنني أتعجب! لقد كنت عند الصيدلي في بارتشيستر عصر اليوم. وكان عليّ أن أوقّع في سجل السموم مقابل دواء اشتريته، ورأيت في السجل آخر مادة وآخر توقيع. كانت المادة هي سيانيد البوتاسيوم وقد وقّع أمامها كلود لانغتن.

نظر هاريسن إليه وقال: غريب!... لقد أخبرني لانغتن أمس بأنه لم يحلم أبداً باستخدام هذه المادة، والحقيقة أنه قال إنه يجب عدم بيعها لهذه الأغراض.

أرسل بوارو ناظريه إلى الحديقة. وكان صوته هادئاً جداً وهو يطرح سؤاله: هل تحب لانغتن؟

جفل هاريسن وبدا وكأن السؤال قد فاجأه على حين غفلة. قال: أنا... أنا... حسناً، بالطبع أحبه، ولماذا لا أحبه؟

قال بوارو بهدوء: كنت أتساءل فقط إن كنت تحبه.

ولمّا لم يُجِبْ هاريسن مضى بوارو قائلاً: وقد تساءلت أيضاً إن كان هو يحبك؟

- ما الذي تريد الوصول إليه يا سيد بوارو؟ في عقلك شيءٌ لا أستطيع سبر غوره.

- سأكون صريحاً معك. أنت خاطب وسوف تتزوج قريباً يا سيد هاريسن، وأنا أعرف الآنسة مولي دين. إنها فتاة جميلة جداً وفاتنة جداً، وقبل أن تكون مخطوبة لك كانت مخطوبة لكلود لانغتن، وقد تركته من أجلك.

هزّ هاريسن رأسه موافقاً، واستمر بوارو قائلاً: أنا لا أسأل عن دوافعها في ذلك، فربما تكون لها مبرراتها. ولكنني أقول لك ما يلي: ليس من المُستكثَر عليك أن تفترض بأن لانغتن لم ينسَ ولم يغفر ذلك.

- أنت مخطئ يا سيد بوارو... أقسم أنك مخطئ. لقد تحلى لانغتن بروح رياضية وتقبل الأمور كرجل، وقد كان شريفاً معي إلى حدٍ مدهش وبذل كل ما بوسعه ليكود ودوداً.

- ولم يَسترعِ ذلك انتباهك كأمر غير عادي؟ لقد استعملت تعبير «إلى حدٍّ مدهِش» ولكنك لا تبدو مدهوشاً.

- ما الذي تعنيه يا سيد بوارو؟

قال بوارو وفي صوته نبرة جديدة: أعني بأنه يمكن لرجل أن يخفي كرهه حتى يأتي الوقت المناسب.

- كرهه؟

هزّ هاريسن رأسه بالنفي وهو يضحك، ومضى بوارو قائلاً: إن الإنكليز أغبياء جداً؛ يعتقدون أنهم يستطيعون خداع الجميع وأن أحداً لا يستطيع خداعهم. هذا روحهُ رياضية، وهذا شابٌ طيب... لن يصدقوا أبداً وجود الشرّ فيه، ولأنهم شجعان -رغم غبائهم- فهم يموتون أحياناً في وقت ليسوا مضطرين للموت فيه.

قال هاريسن بصوت منخفض: إنك تحذرني. أنا أدرك ذلك الآن... أدرك ما حيرني طَوال هذا الوقت. إنك تحذرني من كلود لانغتن. لقد جئت هنا اليوم لتحذرني...

هزّ بوارو رأسه موافقاً، فقفز هاريسن واقفاً وقال: ولكنك أنت المجنون يا سيد بوارو. نحن نعيش في إنكلترا، والأمور لا تجري بهذا الشكل هنا، فالخاطبون الذين تركتهم خطيباتهم لا يركضون في الشوارع طاعنين الناس في ظهورهم. وأنت مخطئ بخصوص لانغتن، فذلك الشاب غير مستعد أن يؤذي ذبابة.

قال بوارو بهدوء: حياة الذباب ليست موضع اهتمامي. ورغم أنك تقول إن السيد لانغتن غير مستعد لقتل ذبابة فإنك تنسى أنه يُعدّ العدة الآن لقتل عدة آلاف من الزنابير.

لم يُجِبْ هاريسن على الفور. ونهض بوارو بدوره وتقدم من صديقه ووضع يده على كتفه. كان بوارو ثائراً منفعلاً حتى إنه كاد أن يهز جسد الرجل الضخم، وبينما كان يفعل ذلك همس بأذن صديقه

قائلاً: تغلّب على غفلتك يا صديقي، تغلب على غفلتك. وانظر... انظر إلى حيث أشير. هناك عند الحافة، تماماً قرب جذر الشجرة. انظر إلى الزنابير وهي تعود إلى عشها هادئة في نهاية النهار. خلال ساعة قصيرة سيحل بها الدمار، وهي لا تعرف ذلك. ليس هناك من يخبرها.. ليس لديها أحدٌ مثل هيركيول بوارو. إنني أقول لك يا سيد هاريسن بأنني جئت إلى هنا في عمل، وأن جرائم القتل هي عملي، وهي عملي قبل أن تُرتكب بقدر ما هي عملي بعد ارتكابها. في أي وقت سيأتي السيد لانغتن لتدمير عش الزنابير هذا؟

- لانغتن لن...

- سألتك: في أي وقت؟

- في الساعة التاسعة. ولكنني أقول لك: إنك مخطئ تماماً. لانغتن لن يُقْدم أبداً...

صاح بوارو مقاطعاً في نوبة عاطفة: يا لهؤلاء الإنكليز!

ثم أخذ قبعته وعصاه ومضى عبر الممشى، وتوقف قليلاً ليلتفت ويقول: لن أبقى لكي أتجادل معك، فلن أجني من ذلك إلا إثارة أعصابي، ولكن ليكن بعلمك: سأعود في الساعة التاسعة.

فتح هاريسن فمه ليتكلم، ولكن بوارو لم يعطه فرصة لذلك، إذ قال: أعرف ما ستقوله... لانغتن لن يقدم أبداً... إلخ. حسناً، أنت تقول: إن لانغتن لم يقدم أبداً! ولكنني -مع ذلك- عائد إليك في الساعة التاسعة. نعم، وسيسرني ذلك، اعتبرها هكذا: يسرني أن أشاهد تدمير عشر الزنابير. اعتبرها رياضة أخرى من رياضاتكم الإنكليزية!

لم ينتظر جواباً، بل مضى سريعاً في ممر الحديقة ثم إلى الخارج عبر البوابة التي تصدر صريراً. وما إن أصبح في الشارع حتى خفّت سرعة خطواته وتلاشت حيويته ونشاطه وأصبح وجهه قلقاً وقوراً. أخرج ساعته من جيبه ونظر إليها. كانت العقارب تشير إلى الثامنة وعشر دقائق، وتمتم قائلاً: أكثر من ثلاثة أرباع الساعة. عجباً، هل استعجلت؟

تباطأت خطواته، بل بدا وكأنه وصل إلى نقطة يكاد يعود فيها. بدا أن نذير شرٍ غامضاً يهاجمه، ولكنه طرد ذلك الهاجس عنه بتصميم واستمر في سيره باتجاه القرية. ولكن وجهه كان ما يزال قلقاً، وقد هز رأسه مرة أو مرتين صنع رجل لا يملك إلا بعض القناعة.

* * *

كانت الساعة قبل التاسعة ببضع دقائق عندما اقترب مرة أخرى من بوابة الحديقة. كان المساء صافياً ساكناً لا تكاد ترى فيه هبّة نسيم تحرك أوراق الشجر. ربما كان في هذا السكون شيءٌ ما، شيء شرير، كالهدوء الذي يسبق العاصفة.

تحركت قدما بوارو بشكل أسرع قليلاً، إذ شعر فجأة بالذعر وعدم اليقين، كان يخاف شيئاً لا يدرك كنهه. في تلك اللحظة فُتحت بوابة الحديقة وخرج منها كلود لانغتن بسرعة إلى الشارع، وقد جفل عندما رأى بوارو وقال: آه... مـ... مساء الخير.

– مساء الخير يا سيد لانغتن. لقد خرجت مبكراً.

نظر لانغتن إليه وقال: لا أدري ما الذي تعنيه؟

- هل عالجت عش الزنابير؟

- في الحقيقة... لا، لم أعالجه.

قال بوارو بلطف: آه، أنت لم تعالج عش الزنابير. فماذا فعلت إذن؟

- جلست فقط وتحدثت قليلاً مع هاريسن العجوز. أنا مضطر حقاً للإسراع بالانصراف الآن يا سيد بوارو. لم تكن لديّ فكرة بأنك في هذا الجزء من العالم.

- لديّ عمل هنا.

- آه! حسناً، ستجد هاريسن على المصطبة. أنا آسف لأنني لا أستطيع البقاء.

وأسرع مبتعداً، فتابعه بوارو بنظراته. كان شاباً عصبي المزاج حسن الهيئة ذا فم ينم عن الضعف! تمتم بوارو قائلاً: سأجد هاريسن على المصطبة إذن؟ ترى هل سأجده؟

دخل من بوابة الحديقة، ثم عبر الممر. كان هاريسن جالساً على كرسي قرب الطاولة. جلس ساكناً، بل إنه لم يُدِرْ رأسه عندما اقترب منه بوارو قائلاً: آه! يا صديقي. أأنت على ما يرام؟

ساد صمت طويل، قال بعده هاريسن بصوت ذاهل: ماذا قلت؟

- قلت: هل أنت على ما يرام؟

- بخير، نعم... أنا بخير. ولماذا لا أكون كذلك؟

- ألا تشعر بأي أثار سيئة؟... هذا جيد.

- آثار سيئة؟ من ماذا؟

- من مسحوق غسول الصودا.

نهض هاريسن فجأة وقال: غسول الصودا؟ ما الذي تعنيه؟

قام بوارو بحركة اعتذار وقال: أنا آسف جداً لاضطراري لذلك، ولكنني وضعت بعض حُبيبات مسحوق الصودا في جيبك.

- وضعت حبيبات الصودا في جيبي؟ لماذا بالله عليك؟

حدق هاريسن إليه، وتكلم بوارو بهدوء وبأسلوب موضوعي وكأنه محاضر نزل إلى مستوى طفل صغير. قال: أنت تعلم أن واحدة من محاسن (أو مساوئ) العمل كرجل تحرّيات أنه يجعلك على اتصال مع طبقات المجرمين، وهؤلاء يستطيعون أن يعلّموك بعضاً من أغرب الأمور وأشدها إثارة. صادفت نشالاً ذات يوم، واهتممت به لأنه -في تلك المرة تحديداً، من بين آلاف المرات- لم يكن قد ارتكب ما اتُّهم به، وهكذا أنقذته. ولأنه شعر بالامتنان لي فقد وفّاني أجري بالطريقة الوحيدة التي وصل إليها تفكيره، وهي تعليمي حِيَل مهنته. وهكذا فإنني أستطيع نشل جيب رجل -إن أردتُ- دون أن يحس أبداً بذلك. أضع إحدى يدي على كتفه ثم أمثل دور المنفعل، ولا يحس هو بشيء، فيما أكون قد تمكنت من نقل ما في جيبه إلى جيبي وتَرْك بعض حبيبات الصودا مكانه.

ثم تابع بوارو حالماً: أرأيت؟ لو أراد رجلٌ أن يصل إلى بعض السمّ بسرعة ليضعه في كأسٍ دون أن يلحظه أحد فإن عليه أن يحتفظ

به في جيب معطفه الأيمن، ليس من مكان آخر. لقد عرفت أنه سيكون هناك.

ثم دس يده في جيبه وأخرج بعض الحبيبات البيضاء المتكتلة المبلورة، وتمتم قائلاً: خطيرة جداً... لا ينبغي حملها هكذا دون إناء محكم.

ومن جيبه الآخر أخرج ببطء وهدوء زجاجة واسعة الفوهة فأدخل الحبيبات المتبلورة فيها، ثم تقدم من الطاولة وملأ الزجاجة بالماء الصافي، وبعد ذلك أغلق سدادتها بحذر وأخذ يرجّها حتى ذابت الحبيبات. كان هاريسن يراقبه وكأنه مسحور، وبعد أن اقتنع بوارو بمحلوله مشى إلى عش الزنابير. فتح الزجاجة وأدار رأسه جانباً وسكب المحلول في العش، ثم تراجع خطوتين ليراقب الوضع.

كانت بعض الزنابير التي تحطّ عائدةً إلى عشها ترتجف قليلاً ثم ترتمي ساكنه، فيما زحفت زنابير أخرى خارج فتحة العش لترتمي ميتة بعدها. راقب بوارو ذلك برهة، ثم هزّ رأسه وعاد إلى الشرفة قائلاً: موت سريع، سريع جداً.

وجد هاريسن أخيراً صوتَه وقال: ما هو مدى معرفتك؟

نظر بوارو أمامه بعيداً وقال: كما قلت لك، لقد رأيت اسم كلود لانغتن في السجل. أمّا ما لم أخبرك به فهو أنني صادفته بعد ذلك مباشرة، وقد أخبرني أنه كان يشتري سيانيد البوتاسيوم بناء على طلبك أنت لتدمير عش الزنابير. وقد أثار ذلك انتباهي باعتباره أمراً غريباً يا صديقي، لأنني أتذكر أنك (في ذلك العشاء الذي تحدثت عنه) تكلمتَ مطولاً عن الحسنات الكبيرة لاستخدام النفط

واستنكرتَ شراء السيانيد باعتباره خطيراً وغيرَ ضروري.

- استمر.

- وعرفت شيئاً آخر. لقد رأيت كلود لانغتن ومولي دين معاً في مكان لم يكونا يظنّان أن أحداً سيراهما فيه. إنني لا أعرف تلك المشاجرة بين المحبَّين التي جعلتهما أساساً يفترقان ودفعت الفتاة إليك، ولكنني أدركت أن سوء التفاهم بينهما قد زال وأن الآنسة دين كانت في طريق عودتها إلى حبيبها السابق.

- استمر.

- وقد علمت شيئاً آخر يا صديقي. لقد كنتُ قبل أيام في شارع هارلي، شارع الأطباء، ورأيتك خارجاً من عيادة طبيب معين. وأنا أعرف الطبيب وأعرف المرض الذي يلجأ إليه الناس من أجله، وقد قرأت التعبير على وجهك. ذلك التعبير الذي لم أرَه سوى مرة أو مرتين طَوال حياتي، ولكنه تعبير لا يمكن الخطأ فيه. كان وجهُك وجهَ رجل حُكم عليه بالإعدام. أنا على حق في هذا، أليس كذلك؟

- على حق تماماً، وقد قرر الطبيب أنني لن أعيش سوى شهرين.

- أنت لم ترَني -يا صديقي- لأنك كنت مشغولاً جداً بأمور أخرى تفكر فيها. وقد رأيتُ شيئاً آخر في وجهك، ذلك الشيء الذي قلت لك عصر اليوم أن الرجال يحاولون إخفاءه... رأيت فيه الكراهية يا صديقي. أنت لم تكلف نفسك عناء إخفائها لأنك لم تظنّ أن أحداً كان يراقبك.

- استمر.

- لم يعد لديّ كثير مما يمكن أن يُقال. جئتُ هنا ورأيت اسم لانغتن بالمصادفة في سجل السموم كما قلت لك، ثم قابلته، وبعدها جئت لمقابلتك هنا ونصبت لك فخاخاً. أنت أنكرت أنك طلبت من لانغتن الحصول على السيانيد، أو بالأحرى عبّرت عن دهشتك لفعله ذاك. لقد فوجئتَ في البداية لدى رؤيتي، ولكنك سرعان ما أدركت أن وجودي سيكون مناسباً لما تفكر فيه، فشجعت شكوكي. كنت أعرف من لانغتن نفسه أنه سيأتي هنا في الساعة الثامنة والنصف، ولكنك قلت إنه سيجيء في التاسعة، معتقداً أنني سآتي لأجد كل شيء منتهياً. وهكذا كنت أعرف كل شيء.

- لماذا أتيت؟ لو أنك فقط لم تأت!

اعتدل بوارو في جلسته وقال: لقد قلت لك، إن القتل هو اختصاصي.

- القتل؟ بل قل: الانتحار.

صدع صوت بوارو حاداً واضحاً وهو يقول: كلا، بل أعني القتل. كان موتك سيكون سريعاً وسهلاً، ولكن موت لانغتن الذي خططت له كان أسوأ موت يمكن لإنسان أن يلقاه، فهو الذي اشترى السم، وهو الذي جاء لزيارتك، وهو -وحده- الذي كان معك. تموت فجأة، ويُكشف السيانيد في كأسك، ويُشنق كلود لانغتن... تلك كانت خطتك.

زمجر هاريسن مرة أخرى نائحاً: لماذا أتيت؟ لماذا أتيت؟

- لقد أخبرتك. ولكن يوجد سبب آخر، هو أنني أحبك. اسمع

يا صديقي، إنك رجل يُحتضَر، وقد فقدتَ الفتاة التي أحببتها، ولكن شيئاً واحداً لا يمكن أن تكونه... فأنت لست قاتلاً. قل لي الآن: أأنت سعيد أم آسف لحضوري؟

سادت لحظة صمت طويلة، ثم اعتدل هاريسن في جلسته وبدت في وجهه هيئة جديدة، هيئة رجل استطاع أن يتحكم بدخيلة نفسه العميقة. مَدّ يده عبر الطاولة وصاح: شكراً لله أنك أتيت... آه، شكراً لله أنك أتيت.

* * *

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمُل أن تكون قد استمتعت بقراءة جزء من هذه المجموعة القصصية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذا الكتاب (وسواه من الإصدارات) من موقعنا مباشرة، ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو احتجت لأي مساعدة.

الأجيال
www.al-ajyal.com